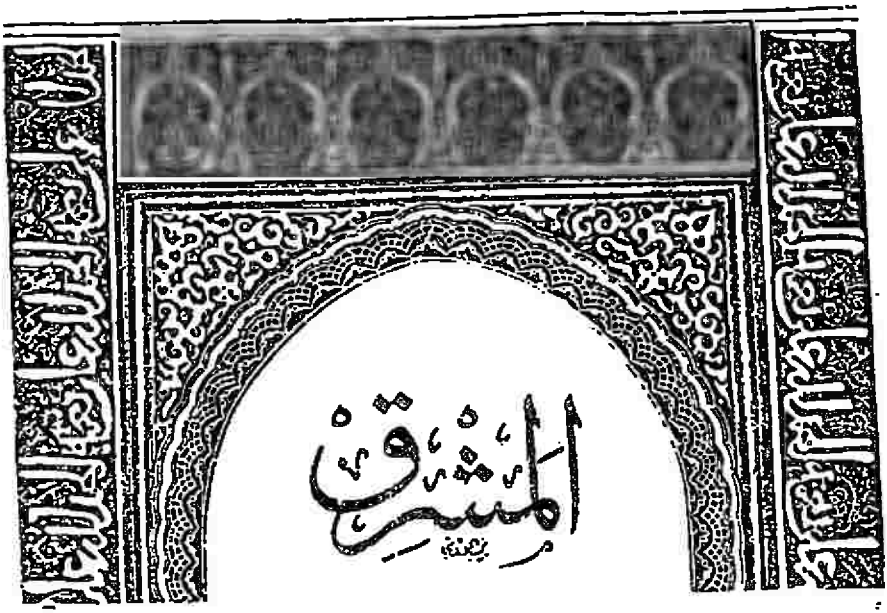

السنة الثلاثون

نيسان ١٩٣٢

في اتّهام الكنيسة بالاستبداد

للاب ارمند اودين ، احد كهنة قلب يسوع الاقدس (الناصرة)*

كثيراً ما نسمع بعض الناس يتشكّون من استبداد الكنيسة الكاثوليكية بقوانينها واحكامها . وليس هؤلاء المتشكون من خصوم الكثلكة فحسب ، بل من ابنائها ايضاً . ولا عجب بذلك ، اذ ان استثقالهم بعض الشرائع الكنسية ، التي تحصر حرية تصرفهم في امور مختلفة ، قد جعلهم لا يدركون الدواعي الصوابية والغايات الضرورية التي سُنّت تلك الشرائع لاجلها .

فيفيد اذاً فحص تلك الامور التي توهم ذلك البعض ان الكنيسة تحرمهم فيها ما يحقّ لهم من استمتاع في الحرية . فان كنت منهم ، ايها القارئ الكريم ، ارجو منك ان تطالع هذا المقال باخلاص وتروٍ ، عساك تجد فيه ما يوضح لك ان روح الحكمة والاهتمام بخير المؤمنين هو الذي ارشد الكنيسة

* عني بتصحيح عبارته ، ونشره الخوري اسطفان فرحات اللبناني

المتبعة الى سنّ تلك الشرائع التي توسّم فيها اولئك عيب الاستبداد والاغتصاب.

١

لماذا تمنع الكنيسة الكاثوليكية ابناءها عن الزواج من غير الكاثوليك ؟

نعم ان الكنيسة الرومانية المقدسة ، منذ زمان بعيد ، دوّنت في قوانينها تحريم هذا الزواج المختلط . وهي لا ترضى ان تأذن به الّا اذا احوجت اليه بواعث مهمة ، وتأمر رعاة النفوس ببذل جهدهم في اقناع المؤمنين بالامتناع عن هذا الزواج . وهذا ممّا يستغربه الكثيرون . ولكن طالما اوضح الذين تقصوا في درس هذه المسألة ان الزواج المختلط يجلب عواقب مكروهة ، فيها ما يكفي لتبرير خطة الكنيسة ، في هذا الامر ، من ذلك الاتهام.

فاعتبر اولًا ان المحبة المتبادلة بين الزوجين هي من اهمّ واجباتهما ، ومن الزم الشروط لسعادة عيشتهما ، وهي صعبة على اللذَين يختلف مذهبهما . لان هذا الاختلاف كثيرًا ما يحدث المجادلات العنيفة ، والتنافر ، واستقال المساكنة ، وربما حمل احد الزوجين على اغاظة الآخر بابداء ازدرائه بالامور التي يحبها — هذا الآخر — مقدسة ويكرمها كالهية . كما يحدث مثلًا اذا استهزأ بروتستاني بتعبد الكاثوليكي لوالدة الله مريم ، واساء القديسين ؛ او اذا تهكم ارثوذكسي بالحبر الروماني الذي يجلّه كل كاثوليكي ، ويحترمه كنائب السيد المسيح . وقد يستقبل احد الزوجين في البيت بعض معارفه من اتباع مذهب فيتحادثون في الامور الكنسية او الدينية ، بغير مراعاة لاحساسات الزوج الآخر ، فيساء هذا كل الاساءة ، وربما تولّد في قلبه من الحقد والبغض ما يحمله على مفارقة قرينه . على انه لا تنحصر في ذلك مضارّ الزواج المختلط فحسب ، بل من تبعاته المخشاة ايضاً انسلاخ الكاثوليكي عن الكنيسة الرومانية وخسران ايمانه . وذلك يكون ، لا محالة ، إمّا مما يسمعه من قرينه من انتقاد الكثلكة ، والاعتراضات على تعاليمها ؛ واما من استصعابه الثبات في دين يرى انه علة خلاف بينه وبين قرينه الذي يرغب في ارضائه ؛ واما ممّا

يبديه هـذا القرين من العذابات والتجارب لقرينه ، قصدَ اقتياده الى تغيير مذهبـه . أفتحسب هذه الاخطار امرًا طفيفاً لا ينبغي المبالاة به ، ام تعترف بان الكنيسة أصابت كل الاصابة في اهتمامها بمنع المؤمنين عمَّا يجلب عليهم نتائج سيئة كهذه ؟

ماذا تقول ، اذا زدنا على ذلك اعتبارًا آخر قـد يحدث لبني الزوجين المختلفي المذهب ، فانه لا يخفى ان تربيـة الاولاد الحسنة تقتضي تهذيبهم في الدين الحقيقي . وهذا الشرط الجوهري قلَّما يوجى بان يتمّ حينما كان احـد الوالدين منفصلًا عن الكثلكة ، بل يخشى كثيرًا ان يرفض تربية بنيه الَّا في دينه هو . وزد ايضاً ان الوالدين لا يكادان يقدران على القيام بواجب التربية قياماً جيـدًا ، ان لم يكن بينهما محبة ووفاق ، وهـذان يصعب وجودهما بين شخصين لا يتحدان في الايمان وفي طرق العبادة .

فحسبك هـذا التبيان الموجز ، لتفهم ان الزواج المختلط هو بحلية شرور عظيمة ، واذن فـلا عجب اذا استكرهتـه الكنيسة المقدسة ، واستعملت سلطتها السامية لمنع المؤمنين عنه .

٢

لماذا لا تسمح الكنيسة لنا بالاشتراك في صلوات غير الكاثوليك ، وباستماع مواعظهم ؟

ربما تستغرب هذا النهي ، ايها القارئ الكريم ، وتلفيه مضادًا لروح المحبة والتساهل الذي ينبغي ، على رأيك ، ان تردان بـه كنيسة المسيح . ولكن تأمَّل قليلًا في النسبة التي هي بين الكنيسة الحقيقية والجماعات الدينية المنفصلة عنها ، ترَ بسهولة ان هـذه القوانين عادلة وكلية الصواب ، ولا اثر فيهـا للاستبداد . لان الكنيسة الكاثوليكية توقن انها ، وحدها ، كنيسة المسيح الحقيقية ، وان الكنائس الاخرى التي انسلخت عنهـا بالتمرّد على سلطتها ان هي الَّا شيع غير شرعية . واعتبر ، من جهـة اخرى ، ان من يشترك من الكاثوليك في احتفالات غير كاثوليكية يُظهر انه متحد مع اصحابها في عبادة الله . لكن هذا الاتحاد بالذين عصوا السلطة الكنسية هو اغاظة الله تعالى .

كما يجري في كل جماعة مدنية مثلاً: اذا انفصل قوم عن الحكومة الشرعية ، واقاموا حكومة جديدة ، أفهل يجوز لك ان تخضع لهذه الحكومة ، او تشترك في اجتماعات الذين يتبعونها ؟ كلّا ، فانك اذا فعلت ذلك شاركت اولئك في عصيانهم ، وصرت مذنباً مستوجباً القصاص لدى الحكومة الشرعيّة. كذلك اقام الله سلطة روحية واحدة لتدبير جميع المؤمنين في الامور الدينيّة ، وهي السلطة البطرسية التي يخضع لها الكاثوليك ، فكيف يباح اذاً للكاثوليك ان ينضموا ، في الافعال الدينيّة ، الى الذين عصوا هذه السلطة ؟ فبكلّ عدلٍ وصواب تنهاهم الكنيسة عن هذا الانضمام ، اي عن مشاركة غير الكاثوليك ، ايّاً كانوا في الطقوس الالهية.

وزدْ على ذلك ان هذه المشاركة لا تخلو من خطرٍ على المؤمنين ، لان هؤلاء ، اذا أُذِنَ لهم بالاجتماع مع غيرهم ، لا يبعد ان يتوهموا ان الفرق الذين بينهم وبين المنفصلين هو عرضي فقط ، فلا يهمّ اذاً ان يكون هؤلاء من اعضاء الكثلكة ، ويبعدون المسيح خارجاً عنها . ويحتمل ايضاً ان يوجد في صلوات المنشقّين عبارات منافية لبعض العقائد الكاثوليكية . واذن فمن الواضح ان الاشتراك في مثل هذه الصلوات يكون مجلبة شكٍّ لكثيرين من الكاثوليك ، ولاسيما البسطاء منهم ، فيفترون في الدين رويداً رويداً ، وربما أمسوا ملحدين.

٣

لماذا لا تسمح الكنيسة للمؤمنين بقراءة التوراة التي طبعها البروتستان ؟

الجواب ان المراطقة كثيراً ما زيّفوا نصوص الكتاب المقدس ، قصدَ ان يجدوا فيه اسناداً لاضاليلهم ، ويمحوا منه ما يضادّ آراءهم. فمن يضمن لك ، يا ترى ، ان هراطقة عصرنا لا يتذرّعون بالوسيلة عينها لاغراء الذين يأخذون الكتاب المقدس من ايديهم ؟ فالخطر اذاً موجود ، واذن فمن الواجب على الكنيسة ان تعتني بابعاده ، وتمنع المؤمنين عن مطالعة نسخ التوراة التي نشرها البروتستان ، ولهذا قد سنّت ان لا تُنشر ، ولا تباع بين المؤمنين ، اية ترجمة كانت للكتاب المقدس ، ما لم يكن نظر فيها الاساقفة الذين هم كفوء لصحة التراجم ، وامرت ايضاً ان تلحق بكل ترجمة حواشٍ تفسّر النصوص الصعبة

الفهم ، لئلا يؤوّلها البسطاء تأويلاً فاسداً يُفضي بهم الى اغلاط جسيمة في عقائد الايمان ، او في الامور الدينيّة.

فاذا يظهر في كل ذلك من روح الاستبداد ؟ وما هو اصل تلك القوانين ؟ أهو غير اهتمام الكنيسة بصيانة المؤمنين من الاضرار الروحية التي قد تصير قراءة التوراة مجلبة لها ، لاحد السببين المذكورين : اعني التراجم المائلة ، والتأويلات الغير الصحيحة ؟

٤

على مَ تبني الكنيسة ادعاءها بانه يحق لها وحدها السيطرة على المدارس ؟

لا تظن ، ايها القارئ الكريم ، ان في نيّة الكنيسة حصر حرية الذين يريدون ان يفتحوا مدارس ، او ان يدرّسوا فيها ؛ ولم يقل قط الباباوات والاساقفة ان تعليم اللغات ، والحساب ، ونواميس الطبيعة ، والطب ، وحركات النجوم ، الى غير ذلك من العلوم البشرية ، يجب ان يناط بالسلطة الكنسية ويتعلّق باحكامها . ولكن لا تقتصر مهمة الاساتذة على القاء تلك العلوم ، التي لا ارتباط بين نتائجها وبين الحقائق الفائقة الطبيعة ، بل يُطلب منهم ايضاً ان يعلّموا الآداب والتاريخ . وجليٌّ ان ما يندسّ من الاغلاط في هذين العلمين لا بدّ من ان تتبعه نتائج مشؤومة ، اعني لو بعض القضايا الادبية والدينية التي لا بدّ من الاقرار بها لصيانة حياة الانسان الروحية وابلوغه الخلاص الابدي . ومن امثال هذا ما يحصل اذا انكر معلمُ آداب وجوب عبادة الله ، او اذا ضرب صفحاً عن كل ما يجب على الانسان نحو خالقه ، او اذا حذف مدرّس التاريخ جميع الحوادث العجائبية ، التي فيها براهين على صحة الدين النصراني ، وحقوق الكنيسة الكاثوليكية . فهل يجوز لهذه ، اي الكنيسة الكاثوليكية ، ان تتغاضى عن هذا الخطر المهدّد ابناءها الاحداث ، الذين يُظِلّهم اساتذتهم ويخسرونهم الايمان ؟ كلّا ، ثمّ كلّا ، فان يسوع المسيح أقامها لتعلّم جميع الامم في الامور التي تختص بمعرفة الله ، وعبادته ، ويتعلّق بها خلاص النفس . فيكون اذن من اقدس واجبات الرؤساء الكنسيين ان يراقبوا المدارس التي يتردّد اليها اولاد كاثوليكيون ، وان يمنعوا الوالدين المؤمنين عن ارسال بنيهم الى المدارس

التي لا يخلو فيها التعليم من خطر على فقد ايمان التلامذة وآدابهم ، وان يفحصوا الكتب الادبيّة والتاريخية المستعملة في تلك المدارس ، فيعلنوا عدم جواز مطالعة تلك الكتب التي تتضمن اغلاطاً ضدّ الايمان وقواعد الآداب السليمة.

وينطبق كل ما قلناه عن علم الآداب ، على الفلسفة . لانه لا يخفى ما يوجد من التعلّق والارتباط الوثيق بين المذاهب الفلسفية والعقائد الدينيّة ، ولاسيما ان اضاليل الفلاسفة تقوّض اركان الدين ، وتلقي باصحابها الى مهاوي الزندقة ، واباحة المنكرات.

أفتزعم ، بعد ما تقدم ، ان رعاة النفوس يتجاوزون حدود مهمتهم المقدسة ، حينما يرفعون صوتهم عالياً لتنبيه المؤمنين الى الاحتراز من خطر تلك المذاهب القبيحة ، ونهيهم عن قراءة الكتب التي تنشرها ، ودخول تلك المدارس التي تجرّع تلامذتها هذا السمّ الناقع ؟

فحسبك هذه الملاحظات البسيطة ايضاحاً لصواب ما فعلته الكنيسة حتى اليوم ، وما قررته في قوانينها من الشرائع لصيانة انفس الاحداث من الاضرار العظيمة التي تجلبها المدارس والكتب ، حينما اختلط تعليمها باضاليل مهلكة ، في المواد الادبيّة ، والتاريخية ، والفلسفية.

٥

لماذا يريد الحبر الروماني ان يخضع لسلطته الاساقفة ، والمؤمنون باسرهم ، ويأمر الكهنة باستعمال كل الوسائط الممكنة لاجتذاب اعضاء الكنائس الاخرى الى حضن الكثلكة ؟ أفليس هذا النهج دليلاً على روح الكبرياء والطمع السائد في الكنيسة الرومانية ؟

هذا حديث قوم من الجهّال والمفترين يرسلونه مع هبّات النسيم ، فيلتقطه كثير من الاغبياء ، الذين لم يدرسوا قط مسألة الخلافة البطرسية . اما انت ، ايها القارئ الكريم ، فلا احسبك محتاجاً الى تكرار البراهين القاطعة التي تثبت حقيقة هذه الخلافة . فالبابا موقن ، كما نحن موقنون ، انه هو راعي جميع المؤمنين ، بناء على الكلام الذي وجهه السيد المسيح الى بطرس : « انت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي .. واعطيك مفاتيح ملكوت السموات .. ارعَ خرافي ، ارعَ غنمي . » فسألكَ ، يا رعاكَ الله : ما هو

واجب الراعي الذي يرى بعض خرافه قد خرج من حظيرته ، وبذلك امسى عرضةً لطمع اللصوص وانياب الذئاب ؟ أليس هو ان يبذل جهده في ارجاعه الى الحظيرة ، اقتداء بابن الله ، ممن وصف نفسه بمثل الراعي الشفيق الذي ترك التسعة والتسعين خروفاً ، وسعى في طلب الضالّ ؟ واذن فهذا ما يفعله الحبر الاعظم من المساعي في سبيل اتحاد الكنائس ، وزوال الانشقاقات ، لانه عالم بان هذا الاتحاد لا يمكن تحصيله الّا بخضوع الجميع لمن عيّنه الله رئيساً عاماً على المؤمنين . ولهذا يرغب في ارتداد المنفصلين الى هذا الخضوع الواجب . فهمّ استدللت على ان ارادته هذه تصدر عن الكبرياء وحب الارتفاع ؟ أفهل تتهم بالكبرياء ابا العائلة ، اذا كان يعتني بارجاع ولده الذي عصى سلطته ، وغادر بيته ؟ وهكذا البابا ، فهو ابو جميع المؤمنين ، وان فؤاده يتفتت شفقةً على حال الذين انسلخوا عن وحدة الكنيسة . ولهذا يهتمّ باتخاذ كل الوسائط النافعة لارجاع اولئك الخارجين . ويحذو حذوه المرسلون ، وسائر الكهنة ، الذين يعيشون في بلاد المنفصلين ، فانهم يتفانون في سبيل ارجاع اولئك الى حضن الكثلكة رغبة في خلاص نفوسهم ، لا طمعاً في الاغراض الزمنية . ومن محض الافتراء اتّهامهم باتخاذ الحيل لمخاتلة البسطاء ، واستمالة الناس بالوعود الكاذبة ، وما اشبه من الوسائل الغير الحميدة . فانهم يعملون الحق ، وينيرون الاغبياء ، ويحرّضون سامعي كلامهم على الاهتمام بخلاص نفوسهم . واذن فايّ مبدأ لمساعيهم هذه ؟ واية قوة تنعشهم وتحركهم ؟ أهي غير المحبة التي من اعمالها الاجتهاد في تهذيب الجهّال ، وهداية الغاوين الى سبيل الحقّ ؟ وهذه المحبة عينها هي التي حملت الرسل ، في كل آن وأين ، على المخاطرة بانفسهم ، ومكابدة المتاعب ، ومقاساة الشدائد ، لتنصير العالم الوثني ، عملاً بقول السيد المخلص : « اذهبوا وتلمذوا الامم » . أوَليس معنى ذلك ارشاد الناس الى الدين الحقيقي ؟

واذن فمن محض الافتراء اتّهام الكنيسة بالاستبداد ، ورئيسها وكهنتها بحبّ السلطة . فانهم يواصلون العمل الالهي الذي بدأه المسيح نفسه ، ورسله الاطهار على الارض .